

سقوط الفلسفة عن العرش

الكاتب



نسيم الخوري

د. نسيم الخوري

ضاعت الكتابة واللغات، وصرنا في عصر السماع، أو في عالم لا يمكن الإحاطة به. أسموه خطأ عصر العولمة، لكنه عصر الكوكبية، والفرق يحتاج إلى كتاب لشرحه. إننا في عصر مشابه لعصر كريستوف كولومبوس، مكتشف القارة الأمريكية، حيث قصدها أهل الأرض، وما زالوا، بغية المال. كان يكفي لمن يأت أرض أمريكا حصان، وبندقية، وقطعة أرض يحتلها موقعاً ينطلق منه، ويمتلكه. أليست اللغات والثقافات تقنيات فتح مواقع / أراضٍ إلكترونية يقيم فيها الأفراد للشروع بالنشر والبت الحرّ دون التفات للسلطات اللغوية على الأقل؟ agree بتنوعهم ولغاتهم عبر موافقتهم بنقرة

ينطوي زمن الجمع بين أثلام المحراث وسطور الكتابة في الاستقامة، أعني الحضارتين الزراعية والكتابية. كان المعلم ينهر تلميذه الشارد بريشته نزولاً إلى النهر عند الكتابة، ويصرّ على الخط المستقيم. يغيب زمن الكتابة واللغات، ويستفحل بالبشرية الصمت أو الكلمات من دون الكلام، والمكتبات من دون كتب، وتشبيه الكتب بالحقول الجرداء التي ما عادت تصلح للأبجديات، وذلك في بحث لغوي يحاول الربط بين الكتابة والفلاحة، في عصر مغاير تبرز فيه الزراعة في الماء والهواء، أو من دون تراب

اللاتيني، ويعني الحقل pagina باللاتينية، وهو ما لم أقع عليه بل على مصطلح pagus إن كلمة صفحة مثلاً وردت من البقر أو الثيران، وتعني bous بينما تعني boustrophedon المزروع، ووجدت أن مصطلح الكتابة باليونانية هو الدوران من اليسار إلى اليمين، وبالعكس، وهنا لا أستبعد عند تشبيه الأثلام بالأسطر، والحقل بصفحة strophèmon باليونانية Phèdon الكتاب أن يكون مصطلح «الفدان» الشائع بالعربية قد تمّ نقله عن

يمكننا في المجال، تذكر ابن خلدون بسرّوالة العتيق ترك لنا مقدّمته الأبدية بالريشة والدواة وفوق «طليّة» خشبيّة،

ومثله الجاحظ تاركاً لنا 360 مؤلفاً من الروائع، كتبها مقرفصاً أو قاعداً فوق حصير وأمامه لوح خشبي ينقله من زاوية لأخرى لا نعرف مواقعها الثقافية اليوم.

ساهم عصر الإنترنت الفضائي أو شبكة الشبكات بدم الهوة بين البشر والتقنيات، وخطا بواسطتها بسرعة وسهولة تفوق بكثير استطلاات الجسد والحواس عبر اختراع الحاسوب، جامعاً الاستطلاات كلها بالدماغ قائد شبكة الأعصاب البشرية والذاكرة. وصار الإنسان الإلكتروني مزوداً بأطراف كهربائية وميكانيكية وعيون وآذان إلكترونية، وملقماً ببرامج الحركة والكتابة والقراءة وعصارة فكرنا وتجارينا، ونستأنس برفقتها في قصورنا ومصانعنا ومتاجرنا ومكتباتنا ومدارسنا، وقد يتركها أولادنا وأحفادنا ليلاً تحت وسائدهم، كأن ذاكرة الإنسان أصبحت مستودعاً، أو وعاءً، وحواسه هوائيات، ولغته إشارات ونبضاته وفكره مواد قابلة للتعليل في عصر الذكاء الاصطناعي دائمة الكشف.

إنّ استشرء المجاز في إسقاط الحواجز بين الإنسان والآلة، على الرغم من الإقرار بصعوبة ارتقائها إلى مستواه، يدخل شبكة الشبكات إلى المستوى الذي تبدو فيه ممثلة لأقصى تجليات الاتصال الاصطناعي الذي هو، في رأينا، اللاتصال. هكذا قد تساعد الإنترنت في تثبيت مركزية الإعلام، فتندمج الألياف الضوئية والكابلات الأرضية والبحرية وأشعة المايكرويف ودوائر الأقمار الصناعية.. إلى درجة توصل معها الأمر إلى التخوف من «حدوث أزمة مرور» للأقمار الصناعية التي تتزاحم في ارتفاعها الثابت بالنسبة للأرض وبصورة تهدد بتداخلات موجات إرسالها.

استهلكت هذه الأمور وغيرها مني كثيراً من الجهود في البحث والتحليل، بانث فيها المشاهد الإعلامية واللغوية كأنّها حضارات قديمة تنهار أمام حضارة جديدة، لا تقوم، لأول مرة في التاريخ، على أسس ثابتة، إمّا لأنّها غير مستقرّة بعد ولن تستقرّ، وإمّا لأنّ ملامحها المستقبلية لم تتبلور نهائياً حتى الآن، وليس لي أن أقيم وزناً لمخاطرها ونتائجها، لا لكون تجاربها بعيدة عنّا ونحن نستخدمها كما الدنيا، بل ربّما لأنّها ما زالت تدرج كمسائل ثقافية نسبية في وقعها العام.

هناك أسطورية في الأفكار، ومبالغة في التوقعات، بعد أفول الفلسفة عن عرشها الذي شغله الإعلام بعدما ذوت الطاقة التواصلية الحية في العالم. أليس صحيحاً، ونحن في الألفية الثالثة، أنّ الفلسفة صار محورها الإعلام والخيال والسياسة والأيدولوجيا والصحة بعدما خلعت مضامينها التقليدية الميتافيزيقية التي عاشت آلاف السنين؟

drnassim@hotmail.com